



ماذا لو تنسحب سوريا (بالكامل)؟

عندما كتبنا قبل شهرين متسائلين: "ماذا لو تنسحب سوريا"؟ ("النهار"، ٢٠ و ٢٧ كانون الاول ٢٠٠٢)، لم نكن نرمي الى الضرب في الرمل ولا الى تسجيل سيق صحفي حتى ندّعي ان ما يحصل الآن من انسحاب سوري (جزئي) خطوة اولى على طريق تثبيت فرضية جلّ ما اثاره في حينه سخريّة "الواقعيين". كان الغرض من هذا السؤال، ولا يزال، دعوة المعنيين بالشأن العام الى "التفكير بشكل مختلف"، على ما يقال احياناً لتسهيل حل معضلة رياضية تبدو عصية على المنطق التقليدي. والتفكير بشكل مختلف يعني في لبنان مبارحة المسلمات اللبنانية، بما فيها ما يتعلق بالديمومة المفترضة للهيمنة السورية.

ذلك ان هذه المسلمة التي لا يجرؤ لبنانان اثنان على مناقشتها، خوفاً من تهمة اللاواقعية اكثر من اي شيء آخر، لا تصمد طويلاً امام التفكير بشكل مختلف، اي امام توسيع البيكار الذي يجري ضمنه التحليل، الى كامل الفضاء الاستراتيجي السوري، وقد بدأ يخضع، مثله مثل كل الحسابات ذات الطابع الاقليمي، الى عملية اعادة تحديد تحت وطأة التحضيرات الحربية الاميركية ضد العراق. من هذا المنظار، كانت فرضية الانسحاب السوري، ولا تزال، فرضية واقعية. غير أن "الواقعية" على الطريقة اللبنانية لا تهتزّ لأيّ شيء، فإذ حصلت "إعادة انتشار" لم يسبقها أيّ تمهيد، للقوات السورية، فإننا نسمع من جرائها كل التفسيرات باستثناء التفسير الذي يضع الوجود العسكري السوري في إطاره الموقت. قد يكون لهذا الإجراء الأخير ألف سبب وسبب، ولكن أياً تكن الأسباب، فإن أهم ما ينمّ عليه هو أن المعطى الاستراتيجي السوري في لبنان قابل للتعديل، وإن لم يكن اللبنانيون قابلين للتعاض.

ولعل أسوأ تعبيرات "التطبيع" اللبناني بما يعنيه من تطبّع بطباع الاستبداد، هو أن نسمع رجال دولة مفترضين يخفون من أهمية هذا الانسحاب، كمن يقول مثلاً إن الذي يستطيع إعادة الانتشار بملء إرادته ومن موقع القوة، يستطيع أيضاً معاودة الانتشار. وكان تحريك الجيوش في الشرق الأوسط، وإن في لبنان المعتاد على ذلك، هو كتعيين الوزراء.

للتذكير، فإن سوريا التي نجحت في الإمساك مجدداً بالوضع اللبناني عام ١٩٨٤، لم تستطع العودة الى بيروت قبل ١٩٨٧، بعدما سوّغت لها ذلك حروب الميليشيات الفالته من عقالها. إن هذه السابقة تحديداً تدفع الى التمييز بين الوجود العسكري والهيمنة السياسية المخابراتية. والحق، فإن ما حصل من انسحابات من بيروت والجبل خلال السنتين الماضيتين، لم يفض الى نهاية الهيمنة السورية.

بل على العكس، تمرّغت الطبقة السياسية في الأحضان السورية. غير أن هذا التمييز لا يلغي أهمية الوجود العسكري في تشكل الهيمنة. بمعنى أن استمرار نظام "الحماية" من دون قوى عسكرية سورية، وهو حاصل الى حدّ بعيد اليوم، يضع المسؤولية على اللبنانيين، سواء أكانوا في السلطة أم في المعارضة. مسؤولية السلطة ومن يلوذ بها معروفة، ولا حاجة الى التبخر في هجائها. جلّ ما في الأمر أن مقارنة الحسابات السورية الجديدة بتملق الطاقم السياسي الحاكم، من رئاسة لبنان دورة الجامعة العربية الى "ضبضية" فضيحة تبييض أموال عابرة للحدود، مروراً بالعلاقات المميزة جداً للمرافق العامة من مطار ومرفاً، ومن دون ان ننسى الكازينو، تفترض رمي هذا الطقم الحاكم جملة



وتفصيلاً. أما المعارضة فمسؤوليتها طبعاً أخفّ، لكنها تستحق الانتقاد، لأنها، على تلاوينها، حائرة في موضوع العلاقات اللبنانية - السورية، بين أوصاف تكتفي ب"الوجود العسكري السوري" وأخرى تذهب مذهباً يلامس العنصرية في الكلام عن العمالة السورية، فيما هي تتنصّل من الأسئلة الأساسية. فمتى نسمع، يا ترى، نائباً يطالب بعقد اجتماع ولو مغلق للجنة الدفاع الوطني في المجلس لإحاطة ممثلي الشعب بالأرقام الدقيقة للإنتشار العسكري السوري في لبنان، أو لإعلامهم بالأسباب التي لا تزال توجب وجود المراكز المخبرائية والأمنية السورية في المناطق التي انسحب منها الجيش السوري.

بيروت مثلاً! فإذا كانت قيادة الأركان الإسرائيلية، كما هو مرجح، تعرف تفاصيل الإنتشار السوري، فليس من سبب يمنع النواب اللبنانيين من امتلاك مثل هذه المعرفة. على الأقل، حتى لا يفاجأوا غداً بانسحاب جديد يتم باسم الطائف من مناطق توهموا أنها أخلت سابقاً (للمناسبة، لم يلحظ اتفاق الطائف إلا مرحلتين للانسحاب السوري، أولى الى البقاع وثانية الى ما وراء الحدود). لكن المسؤولية الكبرى للمعارضة أنها لم تنجح في تكتيل نفسها في ما قد يشبه طائفاً جديداً يؤسس لبديل لبناني من الفراغ السوري الآتي، فإذا حان واقعياً وقت السؤال: "ماذا لو تنسحب سوريا بالكامل؟"، فإن تفكك الجسم السياسي اللبناني يوحى لاواقعية الاستقلال اللبناني.

سمير قصير



Id-Reference	03-Pr-000677	
Media	(Support)	HC
Title		ماذا لو تنسحب سوريا (بالكامل)؟
Subtitle		
Section		
Language		عربي
Source		النهار
Page		
Date		٢٠٠٣/٢/٢١ 21/2/2003
Author		سمير قصير
Co-Author		
Keywords		
	Persons	
	Locations	لبنان - سوريا - اسرائيل - بيروت -
	Dates	١٩٨٤ - ١٩٨٧ - ٢٠٠٢
	Themes	لبنان - سوريا - وصاية - حكم بعثي - سياسة سورية - مخابرات سورية - انسحاب سوري جزئي - سوريا نظام - نظام حماية - جامعة عربية - معارضة - حزب بعث - حكم سوري - هيمنة سورية - حرب أميركية على عراق - علاقات مميزة - كازينو - إعادة إنتشار قوات سورية شرق أوسط - حروب ميليشيات - وجود عسكري سوري - علاقات لبنانية سورية - عمالة سورية - جيش سوري - اتفاق طائف
Subject		